الوصفية في شعر بشار بن برد

Descriptiveness in the Poetry of Bashar ibn Burd

سراب أحمد مدلول

Sarab Ahmad Madloul

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

جامعة سامراء

University of Samarra/College of Arts

E-mail: sharaab.a.m@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: بشار، الوصف، المرأة، شعر، العصر العباسي.

Keywords: Bashar, description, woman, poetry, Abbasid

الملخص

الشعر في العصر العباسي مختلفا عن أعصر الأدب السابقة من حيث اتساع معانيه وتجدد بعضها أَحيانا ودخول أَفكار جديدة في أَساليب الشعراء في بناء قصائدهم كما أَنَّ لغة الشعر قد ظلت قوية كالسابق , وأحيانا شابها الضعف في بعض جوانبها، فدخلت الألفاظ غير العربية في الشعر عند بعض الشعراء, واستُحدِثت موضوعات جديدة في الشعر كوصف الحدائق، والقصور، والسفن، والمعارك البحرية وغيرها من الموضوعات التي لها اتصال بمظاهر الحياة الجديدة، وأَصبح لبعض الموضوعات التي تناولها الشعراء بصورة مستقلة، كل ذلك أدى إلى التجديد في الأغراض الكلاسيكية للشعر العربي كالمديح، والهجاء، والغزل، والوصف.

Abstract

Poetry in the Abbasid era differed from the earlier literary periods in terms of the expansion of meanings and the occasional renewal of some of them, as well as the introduction of new ideas into the poets' styles in composing their poems. The language of poetry remained strong as in the past, though at times it exhibited some weakness in certain aspects. Non-Arabic vocabulary entered the poetry of some poets, and new themes emerged in poetic expression, such as descriptions of gardens, palaces, ships, naval battles, and other subjects related to new aspects of life. Some of these themes were treated independently by poets, which led to innovation in the classical themes of Arabic poetry such as praise, satire, love poetry, and description.

التقديم:

كان الشـعر في العصـر العباسـي مختلفا عن أعصـر الأدب السـابقة من حيث اتسـاع معانيه وتجدد بعضـها أَحيانا ودخول أَفكار جديدة في أَساليب الشعراء في بناء قصـائدهم كما أَنَّ لغة الشـعر قد ظلت قوية كالسـابق، وأحيانا شـابها الضـعف في بعض جوانبها، فدخلت الألفاظ غير العربية في الشـعر عند بعض الشـعراء، واستُحدِثت موضـوعات جديدة في الشـعر كوصـف الحدائق، والقصور، والسفن، والمعارك البحرية وغيرها من الموضوعات التي لها اتصال بمظاهر الحياة الجديدة، وأَصـبح لبعض الموضـوعات التي تناولها الشـعراء بصـورة مستقلة، كل ذلك أدى إلى التجديد في الأغراض الكلاسيكية للشعر العربي كالمديح، والهجاء، والغزل، والوصف، وأَكثر هذا التجديد كان في المعاني الجديدة التي دعته إليها متطلبات العصـر، إن لغة بشـار بن برد جزلة على نمط الشعر القديم، إذ يستند على ثقافة واسعة من التراث اللغوي والأدبي العربي، كل هذا أدى به إلى أن يكون في طليعة شعراء العصر العباسي.

الوصفية في شعر بشار:

لقد تعددت الأوصـاف في شـعر بشـار بن برد تبعاً للموضـوعات التي نظم بها أشـعاره، لاسـيما أن الوصـفية عنده كانت تخضـع لدقة في التشـخيص والتوصـيف ونقل الصـورة بكل تفاصيلها، حيث يعمل على خلق نوع من التوازي بين البنية اللغوية والتجربة النفسية، إذ يتم إنتاج الدلالة في وسـط زمني ينتمي إلى الحاضـر ولحظاته من خلال مجموعة الصـور الوصـفية التي تفجر بعداً زمنياً خاصـاً تتحرك فيه الصـياغة حركة مزدوجة حيث تتعلق بالماضـي وتشـده إلى الحاضـر، ومن خلال هذا ((أصـبح الفضـاء النصـي يحتل أهمية خاصـة في الإبداع؛ حيث يقوم المبدع بتصفيف كتابته وبطريقة تخدم رؤيته الجمالية والفكرية)) (حورية الظل، ٢٠١١، ٢٨)

فيخلق بشـار بن برد بهذه الازدواجية معادلاً بصـورة دائمة للتعبير عن مشـاهد الجمال والغزل وفي الوقت نفسـه الهجاء والعتاب والحكمة بما يوازي تجربته الحياتية، وهي تجربة تجمع بين الذات وموضـوعها في لحظة مطلقة تختل فيها المشـاعر وتتوسـع فيها الإشـارات والايماءات التي تربط بينهما، أما المعادل فهو الارتداد إلى واقع زمني لاسـتعادة علاقة تتعرض لضـغط مجتمعي يزيد من هموم الواقع، ولهذا أوصـافه تنطلق من الواقع وتدور حوله ثم تتجاوزه إلى الخيال الخصب.

فالجانب الوجداني من جوانب الزمن النفسي لأن ((الزمن معطى مباشر في وجداننا لأننا نعيش في كل لحظات حياتنا لكننا قد لا نسـتطيع تحديده، وذلك لأن الزمن كامن في وعي الإنسان وفي خبرته وفي وجدانه)) (مبروك، ١٩٩٧، ٦).

ومن صور ذلك ما قاله بشار في وصف التربص بالعباسيين وانتظار الثورة ضدهم (بن برد، د.ت، ١٩٠/٤):

أبا مُسلم ما طُولُ عَيْشٍ بِدَائِم ولا سَالِمٌ عمـــا قليلٍ بســـالِم

فأراد **بشار** وصف مساندته لأي فتنة ستحدث ضد بني العباس، وهذا التهديد دليل واضح على ذلك، فيقدم صورة وصفية للواقع الذي يرفضه وللمستقبل الذي ينتظره، وبهذا يعطي صورة وصفية معارضة أو ممكن أن تتسم بالعداء الواضح للخلافة العباسية.

إذ يتم ((الارتكاز على أحد المواقع في الخطاب الشعري، عن طريق التجميد أو التقمص، ويقصـــد به الإشـــارة لموقع آخر مقابل له، ولا يخلو الأمر حينئذ من امتداد ظلال الدلالة إلى المنطقة الجديدة التي انتقل إليها الخطاب)) (فضـل، ١٩٩٥، ٧٧)، لاسـيما أنه يرغب باسـتفزاز الذات في تحذير حقيقي يخاطب النفس على سبيل وصفية التوجيه والوعيد، وهذا ما يثقل ويعظم المعنى.

وهذا يدلل على أن النص لا يكرر ولا يسـتعمل الألفاظ الواضـحة إلا بما يتناسـب مع العناصـر النصـية الأخرى؛ لأن الإحالة ليس في اللفظ فقط وإنما له قدر كبير في المعنى بل هو أساس المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله، وهو لحظة التحذير والتنبيه، فغرض الشاعر هنا كان اللحظة الآنية، وهذا ما يظهر في موضع آخر عندما يصف بشار حال الخلافة للخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داود، فتظهر صورة وصفية داعية للتحريض ضد العباسيين، إذ قال (بن برد، د.ت، ٩٧/٣):

يأيُّها النَّاسُ قَدْ ضَاعَتْ خلاَفَتُكُم إنَّ الخَلِـــيفَةَ يَعْقُوبُ بنُ دَاوُودِ[١]

ضَاعَتْ خِلَافَتُكُم يا قَوْم فَالتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللهِ بَيْنَ الزِّقِّ والعُـــــودِ

وكانت هذه الصورة الوصفية التحريضية القاسية سبباً في ضربه حتى الموت لما كشف عنه من كره واضح للعباسيين، وهذا يرجع لِنَفَسِهِ السياسي المعارض للسلطة، لكن ما يحسب لبشار أنه وصف الأمويين في موضع آخر من النص (ضاعت خلافتكم)، بأن هبوا واسترجعوا الحكم التي ضاع منكم، وهذا الوصف يحيل إلى أن كره بشار للعباسيين جعله يدعو إلى ثورة تقوم ضدهم ويؤيدها.

فهو شاعر وعالم وكاتب وساحر بعلمه واطلاعه وتمكنه، فانبثقت الوصفية عنده من حرية الشاعر في في المعتقد ووصف الخطر المحيط بالخلافة والتعريض بهم؛ لأن الأساليب

١ - وفي رواية أخرى (بني أمية هبوا طال نومكم) ليكون تحذيراً وتخويفاً للخليفة ممن يهددون السلطة.

التحذيرية المنطلقة من النفس ((مجالاً خصباً لمعرفة انفعالات النفس المبدعة في الشعر العربي؛ لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة المعاني الموجودة في النفس)) (العتري، ١٤٣١هـ، ٩)، فحاول نقل التجربة التي يعيشها ويجعلها خطراً على المتلقي من خلال الإحالة وعدم التصريح بالمعنى.

ومن الأوصـاف القومية التي كان بشـار بن برد ينظمها واصـفاً ثقافته وديانته التي بقي وفياً لها (بن برد، د.ت، ٣٨٩/١):

هلْ مِنْ رسُولٍ مُـــــخْبِرٍ عنِّي جمِيعَ العَـــــــــربِ

منْ كان حياً مِنْـــــــهُمُ ومنْ ثوى فِي الـــــتُّـرُبِ

جدّي الَّذي اسْمُـــــو بِهِ كِـــسْرى وســـاسانُ أبِي

وقَيْصرٌ خالِـــــــــي إذا عددْتُ يْومـــــاً نَسَـــبِي

فهنا في هذا النص يصف بشار بن برد الصراع بين العرب والفرس على الأقل من وجهة نظره هو، ففي تعبير (جميع العرب) وصـــف خطابي موجه للعرب جميعاً، وكأنه يكون صـــورة وصـفية تقوم مقام الند للعرب، ثم يتوغل في هذا الوصـف مقدماً صـورة وصـفية فخرية مركبة من (جدي) ثم (خالي)، فهو لا يفخر فقط بل يصـف العرب بصـورة اسقاطية تعتمد على النيل منهم، ويصـف الفرس بصـورة ترفع من شـأنهم، وهذه صـورة مقارنة من طرف واحد، أي: يصـف قوماً بالذلة ويصف آخرين بالرفعة من وجهة نظره هو.

فإذا أراد التأثير في الآخرين عليه ((أن يســتدعي تحويل الفكر الذاتي الوجداني إلى فكر منقول مؤثر وفاعل بحيث يستطيع المتلقي أن يستقبله وأن به ويتجاوب معه)) (عبدالملك، د.ت، ١٢), والملازمة بين الشاعر والأيديولوجية التي يؤمن بها ويصفها تولد الصدق الواقعي للنصوص الشـعرية، أي: لا تعتمد على الاسـتشـعار أو الإحسـاس والتخيّل لصـفات النفس، بل تنقل تلك الصفات نقلاً واقعياً فنياً.

حتى إننا نجده في موضـع آخر يستمر في الاعتماد على هذه الصـورة الوصـفية المقارنة حينما يقول (بن برد، د.ت، ٣٨٩/١-٣٩٠):

كمْ لي وكمْ لـــــي مِنْ أبٍ بِتاجِـــــــــهِ مُعتصِـــبِ

اشْوَسَ فـــــي مجْلِسِـــهِ يُجْثَى لـــــهُ بالرُّكـــــــبِ

يغْدُو إلـى مجْـــــلِـــسِه في الجوْهـــــرِ المُلْتهِبِ

مُسْتفْضِلٌ في فنـــــــــك وقائمٌ فـــــي الحُـــجُـــبِ

يَسْعَى الهبانـــــــيقُ لـــهُ بآنِياتِ الذَّهـــــــــــــبِ

فهذه السمات العدائية الوصفية الممزوجة بالفخر الفارسي تظهر ما تتخلله نفس الشاعر من إحساس بعدم المساواة بين الفرس والعرب من المجتمع ووصف هذا العداء في أشعاره دليل ذلك؛ لأن الدافع لهذا الفخر نابع من التقليل من شـــأن العنصـــر الفارســـي في أرجاء المجتمع العباسي.

فاللفظ لم يكن منفصـــلاً عن المعنى أو معبراً عنه فقط، إذ جمع إلى جانب ((الصـــيغة البلاغية نوعين آخرين هما الصـــورة الذهنية والصـــورة باعتبارها رمزاً حيث يمثل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة اتجاهاً قائماً بنفسه)) (البطل، د.ت، ١٥)، إذ كون إلى جانب وصفية التخصيص صورة ذهنية عند المتلقي بأيديولوجيته التي ينطلق منها في بناء شخصية مستقلة بذلك.

ولهذا قال (كم لي وكم لي من أب) فيحاول الشـــاعر وصـــف اســـترجاع وشـــحذ الهمم ومحاولة استنهاض الفرس، ووصف أنهم أصحاب حضارة أيضاً وأنه ذو حسب عريق ينحدر من ملوك الفرس، فنلحظ أن وصـــفية بشـــار تنبع من معتقداته والأفكار الأيديولوجية التي يؤمن بها، فيصفها بصورة مؤذية للخصوم لا من أجل الوصفية فقط، بل من أجل بث الأفكار والدعوة لها.

ومن الصور الوصفية الدينية ما يصفه بشار بن برد من اللجوء لتمجيد الديانات الفارسية القديمة فيقول (بن برد، د.ت، ٣٥/١)

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشـــــرقةٌ والنارُ معبودةٌ مُذ كـــــانت النارُ

فنلحظ بشار بن برد يصف تعلقه بالديانات الفارسية القديمة، وبهذا يعتمد أسلوب المقارنة والمفاضلة في الوصف، فيصف النار ويمجدها من خلال الأوصاف اللونية (النار مشرقة) التي تعتمد على التوهج والضوء، كصورة من صور المفاضلة بين عبادة النار وبين الأديان الأخرى.

إذ إن ((الكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشـــوائي بل يخضـــع ترتيبها لأنســـاق تركيبية مطردة وعلاقات شـــكلية داخلية معقدة)) (الرمالي، ١٩٩٦، ٢٢٠)، وربما هنا يصـــف ليفاضل بين الإسلام وعبادة الخالق سبحانه، وبين الديانات القديمة الفارسية وغيرها التي لا تدين بالإسلام وعبادة الخالق سبحانه، وهذا ما يؤكده في وصف آخر للتفضيل الديانات الأخرى (بن برد، د.ت، ٣٦/١)

إبليسُ أفضلُ من أبيـــكم آدمٍ فتنبهوا يا معشر الفُجَّـــــــار

النارُ عُنصره وآدم طينـــــةٌ والطين لا يسْمُو سُمـــــوَّ النار

فهذا الوصـــف في تناوله((لرجال الدين والصـــحابة بكثير من الســـخرية وعدم الاحترام لأقدارهم ولقوله كذلك بمذهب الديصـــانية والرجعة وتفضـــيل النار على الطين والاعتقاد بالثنوية الفارسية والهين للنور والظلمة)) (سلام، ١٩٩٣، ٣٣٥)، وبالتالي يسخر الشاعر أوصافه الدينية في خدمة معتقداته القديمة وجذوره الأيديولوجية التي نشـــأ عليها وانطلق منها في وصـــفية تمجد القديم بدياناته على حساب الإسلام الذي جمع الأقوام كلهم تحت راية واحدة.

فيظهر البعد الجمالي لهذا الأسـلوب من خلال ((اسـتثمار الشـاعر لخاصـية بارزة من خصائص اللغة, وهي حرية التصرف بالألفاظ داخل التركيب, مما يلفت نظر المتلقي الذي يتطلع لمعرفة الســـبب الذي من أجله جاءت الألفاظ مرتبة على غير ترتيبها الذهني, بكســـر العلاقة القائمة بين الألفاظ وتشكيلها في سياق جديد وعلاقة جديدة متميزة ليكون مظهراً بارزاً من مظاهر ذلك الانحراف في التركيب النحوي)) (الباجلاني، ٢٠١٣، ٢٧٨)، حتى إننا نلحظه يســـتمر في الوصفية الدينية المعقدة والقديمة فيقول (بن برد، د.ت، ١/٢٦٩-٢٧٠):

خُـلقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَـــــــيَّرٍ هَوَايَ ولَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهَـذَّبَــا

أُرِيدُ فَلاَ أُعْطَي وأُعْطَى فَلَـــــم أرِدْ وقَصَّرَ عِلْمِي أنْ أنَالَ المُغَـــيَّبَا

وأُصْرَفُ عنْ قَصْدي وحِلْمِـــي مُبْلِغِي وأُضْحي وما أعْقَبْتُ إلاَّ التَّعــجُّبا

فتظهر الوصفية في هذا النص كما يصفه المستشرق **شارل بلاّ** بقوله: ((وحكى أصحاب المقالات عن بشـار أنه ضـم إلى ضـلالتهِ في تكفير الصـحابة وتكفير عليّ_ رضـي الله عنه_ معهم ضـــلالتين أخريين إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب إليه أصـحاب الرجعة من والثانية قوله بتصـويب إبليس في تفضـيل النار على الطين)) (بلاّ، د.ت، ٢٤٣)، ويقول أيضـاً: ((فهذا الفارسـيّ وقد عاش بالبصـرة وبغداد كان مزدكياً[٢] أسـلم ولم يكن يخفي ميله إلى ديانته الأولى وإلى أبناء جنسه)) (بلاّ، د.ت، ١٣١).

وهذا يدلل على أن ((الشـــاعر جزء من البيئة وكيان فاعل فيها يؤثر ويتأثر في حلقة مستمرة لا تنفصل إذ يتأثر الشاعر بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه, وهو في نفس الوقت يؤثر في الواقع الاجتماعي بما يصـــدر عنه من أشـــعار يتلقاها افراد المجتمع ويتأثرون بما فيها)) (متولي، ٢٠١٢، ١٤٩)، فكمية هذه الإحالات والمسوغات ارتبطت بالمعنى المركب الذي شكّله الشاعر بلغة الخطاب، لرغبته في وصف الجانب الديني والقومي عنده والفخر به.

٢ - المزدكية : صنف من فرق الخرمية كانوا قبل دولة الاسلام استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شركاء في الاموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء الى ان قتلهم ابو شروان في زمانه ,(الاسفراييني، ١٩٧٧, ٢٥١).

أما عند التحول إلى الوصفية التي تتعلق بالغزل والنساء والصور الدقيقة والمركزة التي نظمها بشار، من ذلك قوله في الشكاية من لوعة الحب والشوق (بن برد، د.ت، ٢٣١/١):

اذَا ذُكِرَتْ دَارَ الهَوَى بمسامِعِي كَمَا دَارَت الصَّهْباءُ في رأسِ شَارِبِ

فإنْ يَكُ عَنِّي وجْهُهَا اليَوْمَ غَائباً فَلَيْسَ فُؤَادِي من هَواهَا بِغَائبِ

فنلحظ أنه بالرغم من إصابته بالعمى فإن وصفية المرأة عنده تكون بطريقة مميزة تفوق أحيانا أصحاب البصر السليم فقال (بمسامعي) ثم قال (وجهها- غائبا)، فلم يمنعه عماه من تصوير العالم المحيط به بألوان حقيقية فخياله واقعي ملموس، واستعمل استبدال الحواس.

أي: استبدل الرؤية والبصر بالسمع وشكّل الصورة من خلالها، والخيال في الشعر العباسي هو سمة مميزة لشعر هذا العصر، فلم يعد الشاعر كالسابق يعتمد على وصف الحادثة بدقة كما وقعت وإحداث الصدمة الشعرية عن طريقها، بل اصبح يضع قصيدة كاملة على حادثة يكون دور الخيال فيها بارزاً أو واضحاً وقوياً، وبشار بن برد دليل واضح على ذلك.

ثم الانتقال إلى تثبيت الفرادة الجمالية؛ لأن المشاهدة كما يقول ابن حزم الأندلسي: ((أعلم أن العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس, والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعرها عملاً, وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادئ, ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات وقد قيل ليس المخبر كالمعين)) (ابن حزم، ١٩٨٧، ١٣).

ففي موضع آخر يذكر بشار بن برد حرقة الحب الذي أصابته به عبدة واعتمد على وصفية هذا الحب فقال (بن برد، د.ت، ٢٣٩/١):

أفِدَ الرَّحِيلُ وحثَّنِي صَحْبِي والنَّفْسُ مُشْرِفةٌ على النَّحْبِ

لمَّا رأيتُ الهمَّ مُجْتَنِحاً في القلْبِ والعيْنان في سكْبِ

والبيْنُ قدْ أفدَتْ ركائبُهُ والقوْمُ من طَربٍ ومِنْ صَبِّ

ناديْتُ :إنَّ الحُبَّ أشعرني قَتْلاً وما أحْدثْتُ من ذَنْبِ

فأشعاره الوصفية في ذكر المحبوبة ذات سمة خيالية لا تستند إلى مراسلات ووساطات وشكاية منها، ولو أن هذه الشكاية رمزية غير حقيقية، لكن بشاراً استعاض عنها بوصفية يصور لنفسه عالم جميل يعيش فيه مع عبدة (أفد الرحيل) ثم (القلب) ثم (الحب أشعرني قتلاً) فاعتمد على تكثيف الأوصاف حتى تكون الصورة بحواسها المختلفة ذات بعد تأثيري.

لاســـيما أن العاطفة أوصـــلته إلى مراحل الوجد التي تنعكس على حزن الرحيل عن المحبوبة ومنازلها، مع تقديمه وصفية الاستسلام والخضوع للعاطفة في صورة تعارض وتناقض شـخصـيته الحادة وأيديولوجيته القومية والدينية، بينهما الذي هو في مفهومه ((خرقاً للمألوف من الألفاظ في تتابعها التركيبي؛ إذ إنه يوقف سير السرد الشعري, بهدف إيصال شكل أو تأكيد شـيء, وهذا الإيقاف لمسيرة التتابع هو انزياح عن المألوف, إذ يأتي بين الفعل والفاعل, أو بين المبتدأ والخبر, ويترك بصـــمته في التركيب اللغوي, بأن يبعث فيه فاعلية حيوية, تلفت الانتباه إليه, وتسـيّره نحو الوظيفة الجمالية (الشـعرية) التي تمتزج مع الوظيفة البلاغية)) (الحسـين، ٢٠٠٠، ١٤٦).

ودائماً ما يعتمد على حاسـة السـمع كصـورة اسـتبدالية ينطلق منها بشـار بن برد في وصفية العاطفة التي تفيض بها نفسه تجاه المرأة، فيقول (بن برد، د.ت، ٢١٧/٤):

يا قوم إذْنِي لبِعْضِ الحيّ عاشـقةٌ والإذْنُ تَعْشَقُ قبل العَـــين أحْـــيانا

فقلت أحسنتِ أنت الشمسُ طالعةً أضرمتِ فـــي القلبِ والأحشاءِ نيـرانا

ما كنت أول مفـــــتون بجاريةٍ يلقى بلقائها روحاً وريحـــــــــانا

فهذه الوصفية في الأفكار الغزلية تنطلق من إحساس صادق بالتجربة العاطفية وإحساسه بالأشياء من دون النظر إليها ووصفها وصفا كاملا (إذني لبعض الحي) و(والإذن تعشق)، ففي طبيعة الإنسـان عند فقدانه حاسـة معينة أن يعتمد وينشـط حواسـه الأخرى للتعويض واسـتمرارية الحياة بصورة تحقق الرضا والتكييف مع النفس والمجتمع، ولهذا وصف المحبة وأثرها على النفس من خلال تبجيل الصوت وجعله معيار المحبة والمفاضلة في الوقت نفسه.

وتبرز أهمية الصـياغة الشـعرية في كونها ((طريقة الربط بين الدوال بعضـها ببعضٍ، انطلاقاً من العبارة الواحدة إلى التركيب والفقرة)) (ويس، ١٩٩٥، ١٠٣)، إذ تكون البنية في تشكيلها عدولاً من التركيب العادي إلى التركيب المعنوي غير المألوف، ولا تتوقف أوصاف بشار بن برد عند الجوانب الدينية والقومية والسـياسـية ووصـف المرأة بل يتعدى ذلك إلى موضـوعات أخرى، فمن أوصافه الدقيقة قوله يصف حالات شرب الخمر وما يصل إليها الإنسان من سكر وغير ذلك وربطه بجمال النساء اللائي يتغزل بهن (بن برد، د.ت، ٦٩/٤-٧٠):

حَوْرَاءُ إن نَظَرَتْ إلـــــيكَ سقتك بالعيـــنين خَمـــــرا

وكأنَّ رَجْـــــعَ حديـــثها قِطَعُ الرّيَاضِ كُسِينَ زَهْـــرا

وكأنَّ تحـــــت لسـانـها هَارُوتَ ينـفُثُ فيه سِحْـــرا

وتَخَالُ مـــا جَمَعَتْ علَـيْه ثيابَها ذَهَـــــباً وعِطْـــــراً

فنلحظ الوصفية الرمزية الثابتة والمتغيرة عنده في وصف الخمرة ولونها وطعمها، فهو لا يجنح إلى الصـــفات الجمالية الثابتة فقط من خلال (حوراء) و(كأن رجع حديثها) و(كأن تحت لسانها)، بل يعمد إلى الوصفية المتغيرة في (سقتك بالعينين) و(قطع الرياض) و(هاروت ينفث) إذ تكون هذه الصفات غير ثابتة بل تتغير تبعاً للوصفية الجمالية المطلوبة.

والطبيعة تتكون من وصفية جمالية غير ثابتة، بل وصفية جمالية تنماز بالتجدد والتغير والتحول من الأجمل إلى الأمثل، وهذه المفارقة تتجســـد في ((تحويل هذه الاطراف من أماكنها الأصلية التي اكتسبتها من نظام اللغة, إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل)) (عبدالمطلب، ١٩٩٤، ٣٣٣).

فيقصـد هنا أَنَّ الشـاعر ركز على الأشـياء التي ترتبط بالإحسـاس أكثر من المشـاهدة البصرية الذي تراه العين إلى جانب التلذذ بالخمرة بطريقة تخالف المعاني الشعرية المطروقة فهو دائماً يحاول أن يأتي بالتشـبيهات الجديدة، فيدخل إلى أعماق النفس الإنسـانية، ويخاطبها شـعرا، ويتلذذ في هذه المخاطبة، ويبدع فيها، حتى يقول في موضع آخر(بن برد، د.ت، ١٤٥/٣):

قَالَتْ عُقَيْلُ بنُ كَعْبٍ إذْ تَعَلَّقَهَـا قَلْبي فأَضْحَى به من حُبِّـــــهَا أَثَرُ

أَنَّي وَلَمْ تَرَهَا تَصْبُو فَقُلْتُ لهم: إنَّ الفُؤَادَ يَرَى مَا لاَ يَرَى البَصَـــــرُ

فيظهر في النص اعتماد بشار بن برد على الوصفية وبالتحديد تفعيل خاصية البصر مع كونه أعمى، بمعنى الاستناد على الصورة البصرية في وصف الخمرة، لكن عن طريق الاستعارة حينما جعل الفؤاد يرى ويبصـر وهذا عودة للإشـارة إلى كونه أعمى، لكنه يتحسـس الأشـياء (إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر).

ولهذا بروكلمان يعد بشـار بن برد مبدعا جديدا في الشـعر العربي بقوله: ((بشـار كثير التصرف في فنون الشعر، كما سلك قوالب فنه طرقا لم تسلك من قبله , ولم يأخذ شيئا من غيره وهو يصـور بقوة خاصـة به ما تتركه حاسـتا السـمع والشـم من آثار في النفس)) (النجار، د.ت، ١٤/٢).

ويستمر بشـار بن برد في وصـف الخمرة منطلقاً من وصـفية مركبة من النسيب والصـبا فيقول(بن برد، د.ت، ٢٣٠/١):

اذَا ذُكِرَتْ دَارَ الهَوَى بمسامِـعِي كَمَا دَارَت الصَّهْباءُ في رأسِ شَارِبِ

فنجاح بشـــار بن برد في صـــياغة الوصـــفية هنا هو لابتعاده عن التقليد في الصـــور الشعرية، فربط بين (الهوى) و(الصهباء) من ناحية شعوره بأن كلاهما يحققان له الجمال والنشوة الروحية، فهو دائما يأتي بالتشـــبيهات التي توصـــل فكرة تكاد تكون حقيقية وواقعية عن حالة الشـــاعر؛ لأن ((القراءة لا تتم من الخارج بقوانين ثابتة معيارية، وإنما تكون من خلال ما يقف عليه ... حتى يكون التفاعل مع النص وما يحدثه فيه المتلقي من تراكم وتراكب، بحيث يبدو حضور المتناقضات أمراً طبيعياً بل وضرورياً في متن النص)) (أبو زيان، ٢٠١٢، ١٠١).

وكأنما يرى ويبصـــر ما حوله فطريقته خاصـــة وجديدة، وغير مطروقة ســـابقاً فالمعاني جديدة، ومفهومة بطريقة ســـهلة غير متكلفة من دون إهمال الجانب اللغوي الذي كان مميزا عند الشـاعر لارتباطه بلغته العربية الخالصـة، فهو ذلك الأسـلوب الجديد أي: تزويق الوصـفية عنده بالكنايات، والطباق والتسخير البارع لوسائل اللغة.

المصادر والمراجع:

سلام، محمد زغلول .(1993) .*الأدب في عصر العباسيين* .دار المعارف، الإسكندرية.

العتري، عوض بن إبراهيم بن خليفة. (١٤٣٠–١٤٣١هـ) .*أساليب الإنشاء الطلبي في شعر جرير: دراسة بلاغية نقدية* .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

ويس، أحمد محمد. (١٤١٦هـ/١٩٩٥) .*الانزياح بين النظريات الأسلوبية والنقد العربي القديم* (رسالة ماجستير). جامعة حلب، سوريا.

عبد المطلب، محمد .(1994) .*البلاغة والأسلوبية* (الطبعة الأولى). دار نوبار للطباعة، القاهرة.

مبروك، مراد عبد الرحمن .(1997) .*بناء الزمن في الرواية المعاصرة* .الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر.

بروكلمان .*تاريخ الأدب العربي* (نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة). دار المعارف، القاهرة.

بلا، شار .*تاريخ اللغة والآداب العربية* (تحقيق: رفيق ابن وناس، وصالح حيزم، والطبيب العشاش، الطبعة الأولى). دار الغرب الإسلامي، بيروت.

بلا، شارل .*الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء* (تحقيق: إبراهيم الكيلاني، الطبعة الأولى). دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة، سوريا.

متولي، نعمان عبد السميع .(2012) .*الخطاب الشعري: التكوين والتنوع* .دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

بشار بن برد .*ديوان بشار بن برد* (تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة الأولى). وزارة الثقافة الجزائرية.

الحسين، أحمد جاسم .(2000) .*الشعرية: قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي* .الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

فضل، صلاح .(1995) .*شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية النص والقصيدة* .عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.

البطل، علي .*الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها* .دار الأندلس، بيروت.

ابن حزم الأندلسي .(1987) .*طوق الحمامة في الألف والآلاف* (تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

الرمالي، ممدوح .(1996) .*العربية والوظائف النحوية* .دار المعرفة الجامعية.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني أبو منصور .(1977) .*الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية* (الطبعة الثانية). دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الظل، حورية .(2011) .*الفضاء في الرواية العربية الجديدة: مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط أنموذجاً* . دار نينوى، دمشق، سوريا.

الباجلاني، آزاد محمد الكريم .(2013) .*القيم الجمالية في الشعر الأندلسي* (الطبعة الأولى). دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

عبد الملك، جمال .*مسائل في الإبداع والتصور* (الطبعة الأولى). دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

أبو زيان، أحمد .(2012) .*المصطلح الصوفي: من شعرية التآلف إلى شعرية التضاد* .*مجلة فكر وإبداع*، (العدد ٦٧). مصر.

References

Sallam, Muhammad Zaghloul. (1993). *Literature in the Abbasid Era*. Dar Al-Ma'arif, Alexandria.

Al-'Utari, Awad bin Ibrahim bin Khalifah. (2009-2010). *Methods of Request-Based Construction in the Poetry of Jarir: A Rhetorical and Critical Study*. Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia.

Weis, Ahmad Muhammad. (1995). *Deviation Between Stylistic Theories and Classical Arabic Criticism* (Master's thesis). University of Aleppo, Syria.

Abdul-Muttalib, Muhammad. (1994). *Rhetoric and Stylistics* (1st ed.). Dar Nobar for Printing, Cairo.

Mabrouk, Murad Abdulrahman. (1997). *The Construction of Time in the Contemporary Novel*. Egyptian General Book Authority, Egypt.

Brockelmann. *History of Arabic Literature* (Translated by Abdul-Halim Al-Najjar, 5th ed.). Dar Al-Ma'arif, Cairo.

Charles Pellat. *History of Language and Arabic Literature* (Edited by Rafiq Ibn Wanas, Saleh Hayzam, and Al-Tabeeb Al-Ashash, 1st ed.). Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.

Charles Pellat. *Al-Jahiz in Basra, Baghdad, and Samarra* (Edited by Ibrahim Al-Kilani, 1st ed.). Dar Al-Yaqadha Al-Arabiya for Publishing and Translation, Syria.

Metwally, No'man Abdul-Sami'. (2012). *The Poetic Discourse: Structure and Diversity*. Dar Al-'Ilm wa Al-Iman for Publishing and Distribution.

Bashar ibn Burd. *Diwan of Bashar ibn Burd* (Edited by Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur, 1st ed.). Algerian Ministry of Culture.

Al-Husayn, Ahmad Jasim. (2000). *Poetics: A Reading in the Experience of Ibn Al-Mu'tazz Al-Abbasi*. Al-Awael for Publishing and Distribution, Damascus, Syria.

Fadl, Salah. (1995). *Text Codes: A Semiotic Study in the Poetics of the Text and the Poem*. Ain for Studies and Human and Social Research, Egypt.

Al-Batal, Ali. *The Image in Arabic Poetry until the End of the 2nd Hijri Century: A Study in Its Origins and Development*. Dar Al-Andalus, Beirut.

Ibn Hazm Al-Andalusi. (1987). *The Ring of the Dove on Love and Lovers* (Edited by Ihsan Abbas, 2nd ed.). Arab Institute for Research and Publishing, Lebanon.

Al-Ramali, Mamdouh. (1996). *Arabic and Grammatical Functions*. Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'iyya.

Al-Baghdadi, Abdul-Qahir bin Tahir bin Muhammad bin Abdullah Al-Tamimi Al-Asfarayini Abu Mansur. (1977). *The Difference Between the Sects and the Description of the Saved Sect* (2nd ed.). Dar Al-Afaq Al-Jadidah, Beirut.

Al-Zill, Houria. (2011). *Space in the Modern Arabic Novel: The Creatures of Longing by Edwar El Kharrat as a Model*. Dar Ninawa, Damascus, Syria.

Al-Bajilani, Azad Muhammad Karim. (2013). *Aesthetic Values in Andalusian Poetry* (1st ed.). Dar Ghida for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.

Abdul-Malik, Jamal. *Issues in Creativity and Perception* (1st ed.). Dar Al-Jeel for Printing and Publishing.

Abu Ziyan, Ahmad. (2012). *The Sufi Terminology: From the Poetics of Harmony to the Poetics of Contradiction*. *Fikr wa Ibda' Journal*, (Issue 67). Egypt.